أثر نظرية النقد الأرسطي في المنجز البلاغي لابن البناء المراكشي

The Effect of Aristotle Criticism Theory In the eloquence of the son construction Marrakeshi

فتوح محمود أستاذ محاضر أ
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
البريد الالكتروني:mahmoud.fettouh@gmail.com

رقم الهاتف: 06.68.58.75.62

تاريخ الاستلام: 2018/05/01 تاريخ القبول:2018/07/07

ملخص :

يعالج هذا المقال أثر الفلسفة الإغريقية الممثلة في جهد أرسطو الذي تركه في الموروث البلاغي العربي، وبخاصة عند علماء المغرب العربي القديم خلال القرن السابع الهجري، والدراسة ستخصص ابن البناء المراكشي العددي(ت 654هـ)كنموذج في كتابه:(الروض المريع في صناعة البديع)، وتوضح الأثر الأرسطي البيّن الذي تركه في منجزه البلاغي هذا، لأنه سار فيه على خطى أبناء بيئته في المدرسة المغربية من أمثال السجلماسي في تأثرهم بالفكر اليوناني في محاولة مقاربة الشعر بالآليات المنطقية والفلسفية والرياضية، وهذا ما وضحه الكثير من النقاد المعاصرين من أمثال: محمد مفتاح ورضوان بنشقرون...إلخ.

الكلمات المفتاحية: النظرية، الفلسفة، المنطق، النقد، أرسطو، البلاغة، ابن البناء المراكشي.

Abstract:

This article deals with the impact that Aristotle left in the Arabic rhetoric of the scholars of the Arab Maghreb in the seventh century AH,The study will be devoted to son of construction Marrakeshi as a model in his book: (Rawd

Almoria in the industry Bdia)To illustrate the clear Aristotle effect left in this book, Because he followed in the footsteps of the Moroccan school scientists such as the Segalmassi in their influence on Greek thought in an attempt to approach poetry by logical, philosophical and mathematical methods,This is what many contemporary critics such as Mohammad Muftah and Radwan Benchekroun have shown.

Keywords: theory, philosophy, logic, criticism, Aristotle, rhetoric, son of construction Marrakeshi.

نص المقال :

مقدمة:

لقد شهد المغرب العربي مابين القرنين السادس إلى التاسع الهجريين ظهور مدرسة مغربية تهتم بالبلاغة العربية ذات طابع تنظيري وتأسيسي لشعرية نقدية وبلاغية، وذلك بوقوفها على الموروث البلاغي العربي والفلسفة والمنطق اليوناني، والتفريعات الأصولية على غرار المدرسة الفلسفية المغربية (ابن رشد، ابن باجة، ابن طفيل، ابن حزم...) التي تحدث عنها محمد عابد الجابري[1]، ومن أعلام هذه المدرسة النقدية المغربية: حازم القرطاجني صاحب كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)،وأحمد بن عميرة المخزومي صاحب:(التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات)، وأبو محمد القاسم السجلماسي في كتابه: (المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع)، وابن البناء المراكشي العددي(ت 654هـ) في كتابه:(الروض المريع في صناعة البديع)، وهذه الإسهامات كان التأثير الأرسطي واضحا في منجزاتهم البلاغية.

وإن هذه الدراسة ستقف عند ابن البناء المراكشي العددي وتوضح الأثر الأرسطي في أعماله البلاغية، لأنه سار على نهج أبناء بيئته لتأثرهم بالفكر اليوناني في محاولتهم لمقاربة الشعر من وجهة فلسفية ومنطقية قائمة على السبر والتقسيم والتجريد والتقعيد والتأسيس لشعرية عامة مطلقة وكونية، فهم كما يقول محمد بن شريفة: "يمثلون اتجاها جديدا في التأليف البلاغي ويقدمون اجتهادا خاصا في التناول، وهم يجمعون بين المأثور البلاغي العربي والتراث اليوناني الأرسطي، وذلك بواسطة الفارابي وابن سينا وابن رشد على

وجه الخصوص"[2]، ولذلك فإننا نجده رائدا من رواد الاتجاه الفلسفي بالغرب الإسلامي الذي تكاملت في تجربته العقلية منظومة من العلوم كالفلك والرياضيات والمنطق والبلاغة والكلام والتصوف، وكانت في مقدمة هذه العلوم البلاغة العربية.

ومن النماذج التي ألفها في الدراسات البلاغية وتأثرت بالمنطق واستندت إلى الآليات المنطقية والفلسفية والرياضية، ما نجده في كتابه: (الروض المريع في صناعة البديع) الذي ألفه من أجل الزيادة في فهم الأدب وتنمية الذوق البلاغي، فاستوى له موضوع صناعة البديع والأساليب البلاغية لأنها تعين على فهم القرآن الكريم وسنة نبيه، وتهدي إلى إدراك إعجاز القرآن وفصاحة بلاغة نبيه، وقد وضح محقق هذا الكتاب رضوان بنشقرون أن هذا المؤلف يتقاطع في كثير من الفصول والقضايا مع كتاب المنزع البديع للسجلماسي، يقول: هناك "تشابه كبير بين الروض المريع لابن البناء المراكشي والمنزع البديع لأبي محمد السجلماسي في مظاهر شتى وفي فصول كثيرة في المصطلحات والتعريفات وفي الأمثلة والشواهد المختارة ... ومن الجدير بالملاحظة أن في المنزع البديع تفصيلا للكثير مما هو مجمل في الروض المريع، وفيه توضيح لموجزه وتفريع وتجنيس لما به من أنواع بديعية"[3].

أولا: موقف النقاد المعاصرين من تأثر ابن البناء بالفكر المنطقي الرياضي والفلسفي الأرسطي:

إن الباحث في الدراسات النقدية الحديثة والمعاصرة التي تتحدث عن أعمال ابن البناء المراكشي يجدها لا تخلو من الملامح اليونانية الموجودة في كتاباته، وبالأخص الأثر الأرسطي في فكره الأدبي وثقافته العلمية، وإننا في هذه الجزئية سنوضح آراء النقاد المعاصرين في تأثر ابن البناء بمقولات أرسطو في المنطق الرياضي والفلسفي:

1. **عزة حسن:** اعتبر الناقد عزة حسن أن ابن البناء من "العلماء الأفذاذ القلائل في تاريخ الأدبي العربي **الذين جمعوا في أنفسهم المعرفة العلمية البحث إلى الأدبية**، فقد تخصص في الرياضيات وما إليها من العلوم وبرع فيها، وألف كتبا كثيرة جيدة في مختلف فروعها حتى لقب لذلك بالعددي نسبة إلى العدد، بمعنى الحساب، ورمزا إلى تخصصه بهذا العلم واشتهاره فيه"[4]، ثم تكلم عن مجال اهتمامه بالأدب وبخاصة البلاغة والنقد من خلال تأليفه لكتابه الروض المريع في صناعة البديع، وبيّن أنه قد تأثر بالفكر اليوناني كغيره من علماء المغرب العربي خلال القرنين السابع والثامن الهجري، مثل السجلماسي

والقرطاجني، وقال:"أنهم ينطلقون من منطلق واحد، وأدركنا أنهم أبناء مدرسة واحدة يستقون من منابع واحدة، ويسيرون في إبداعاتهم لبلوغ غاية واحدة، وقد امتزج في تفكيرهم وكتبهم آثار تراث العربية وآدابها بآثار التراث اليوناني المتمثل في كتب أرسطو خاصة، ولاسيما كتبه في المنطق والنقد، ويجدر بنا أن نذكر هنا إلى جانب كتاب الروض المريع في صناعة البديع كتابا آخر من هذه السلسلة، وهو كتاب المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع لأبي محمد القاسم السجلماسي"[5].

2. **رضوان بنشقرون:** لقد بين هذا الناقد الاتجاه الذي سار عليه ابن البناء المراكشي في التأليف وهو الاتجاه القائم على "المنهج الفلسفي المنطقي في التفكير والبرهنة والاستدلال"[6]، والذي اعتمد في قراءاته الفلسفية والمنطقية لعلوم اليونان على الرافد المعرفي الذي جاء به ابن سينا في كتابه الشفاء مثلا في حديثه عن الاستدلال الجدلي[7]، والذي يبدو أنه كان أكثر تأثرا به من غيره[8]، ثم ذكر أبرز المصادر الفلسفية التي اعتمدها ابن البناء في تأليف العلوم العربية، بقوله: "لقد استفاد من كتب بعض الفلاسفة المسلمين كابن سينا والغزالي[9] وابن رشد وفخر الدين الرازي في المنطق والفلسفة وعلم الكلام وعلم أصول الفقه، ومن تلخيصاتهم لكتب اليونان في الشعر والخطابة"[10]، ولكن ابن البناء لم يشر إلى هذه المصادر التي استقى منها نظرياته صراحة، ولم "يذكر أسماء المؤلفين والكتب التي أفاد منها إلا في النادر، ولا يشير في الغالب إلى النقاد والفلاسفة واللغويين الذين تأثر بهم، بالرغم من ظهور هذا التأثر واضحا في بعض النظريات أو التحليلات، بل قد يصل هذا التأثر إلى حد النقل الحرفي عنهم في بعض المواضع، أو إتباع مناهجهم في التفكير والتقسيم والاستدلال والتمثيل واستعمال المصطلحات ذاتها...كتلخيصه لنظرية الفلاسفة المسلمين في أن الناس متفاوتون في قوة الإدراك، وهي نظرية موجودة في الشفاء لابن سينا، وفي فصل المقال لابن رشد"[11]

وهذا لا يعني أنه لم يستفد من علماء التراث العربي الأصيل في البلاغة والنقد، بل أفاد من العديد من الكتب القديمة، مثل: كتاب النكت في إعجاز القرآن للرماني في حديثه عن حسن البيان[12] وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي في توضيح العلاقة بين النظم والنثر، والحقيقة والمجاز[13] والبرهان في وجوه البيان لابن وهب في حديثه عن الكلام

وأقسامه[14]، وكذلك تأثر بآراء كبار اللغويين كالخليل بن أحمد والأصمعي وسيبويه، وأثبت كثيرا من آرائهم ونظرياتهم في الروض المريع[15].

وقد أوضح الناقد رضوان بنشقرون العديد من المحطات والإشارات التي توضح تأثر ابن البناء بأرسطو، مثل وقوفه عند التقسيم الذي يعتمد عليه كثيرا في كتابه، مثلا نجده في حديثه عن اللفظ والمعنى[16]، والشعر والنثر[17]، والدلالة[18]، والتي يحدد أنواعها وتقسيماتها، ويرى أن هذا التقسيم "مستمد من كتب علمي المنطق وأصول الفقه التي يبدو واضحا أن ابن البناء قد تمكن منها فهما ودراسة واستيعابا"[19].

3. عباس أرحيلة: لقد اجتهد هذا الباحث في التعمق والبحث من خلال الدراسة التي أنجزها في رسالته العلمية التي تولت كلية الآداب بالرباط نشرها، وتحدّث فيها عن قضية التأثير الأرسطي في البيان العربي، وبالأخص عند مؤرخي النقد والبلاغة خلال القرن الثامن الهجري منذ أن آثارها بعض الباحثين المصريين سنة 1931م إلى سنة 1999م، ووضح من خلالها آراء بعض الباحثين في مسألة التأثير لدى مؤرخي البلاغة والنقد العربيين منذ ثلاثينيات القرن العشرين إلى مطلع التسعينيات منه، واستنتج في الأخير أن هناك آثارا قد سجلتها الدراسات المعاصرة في مقولة التأثير الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين في هذه المرحلة من تاريخنا:

_ جعل الثقافة اليونانية أصلا من أصول الثقافة العربية.

_ تبرير انصهار الشرق في حضارة الغرب الحديث.

_ شعور كثير من الباحثين بالأسف، لأننا لم نفهم كتاب الشعر في القديم، وقالوا لو فهمناه لتغير وجه الأدب العربي كله[20].

أما في تخصيصه للحديث عن ابن البناء، فإنه يرى أن هذا العالم قد تأثر بالمنطق الرياضي والفلسفي في معالجة قضايا كتابه، ولكنه لم يعط الأمثلة على تلك الإشارات الموجزة للمسائل المنطقية، بل نجده يتحدث عنها وهو يناقش المصطلحات البلاغية في كتابه من منطلق فلسفي منطقي رياضي، مثل: المحاكاة والصدق والكذب... وغيرها، ليوضح للمتلقي مدى موسوعيته الثقافية في توضيح الأساليب البلاغية قصد إفهام كتاب الله

وسنة نبيه، ولتوضيح معاني هذه المصطلحات فقد اعتمد على نظرية ابن سينا في الشعر، ولكن عباس أرحيلة قد رأى أن التأثير الأرسطي في كتابه الروض المريع "لا يتمثل إلا في بعض الإشارات إلى مسائل منطقية أصبحت مقررة في الدراسات العربية الإسلامية، وأن أرسطو لم يكن له حضور يذكر في كتاب ابن البناء، فمشروع ابن البناء بعيد عن كل ما له علاقة بالتراجيديا"[21].

4. **محمد مفتاح:** لقد وضح الكاتب والناقد المغربي محمد مفتاح في مقدمة كتابه التلقي والتأويل أن الأثر اليوناني موجود في التراث العربي مشرقا ومغربا، "فمما تشترك فيه المدرسة الفلسفية المغربية مع المدارس الفلسفية المشرقية الأخذ بالمنطق الأرسطي، وخصوصا ما تعلق بنظرية التحديد والقياس وأنواعه وعلائق القضايا، وقد رأى المتمنطقون جميعهم أن القياس المنطقي يؤدي إلى المعرفة اليقينية بعكس القياس الفقهي الذي تنتج عنه معرفة ظنية"[22]، وبيّن أنه قد ظهرت العديد من الدراسات الحداثية توضح أن المدرسة الفلسفية المغربية قد تأثرت بالمنهج اليوناني، وعدّ _كما قال محمد بنشريفة_"ابن عميرة والقرطاجني والسجلماسي وابن البناء يمثلون اتجاها جديدا في التأليف البلاغي ويقدمون اجتهادا خاصا في التناول، وهم يجمعون بين المأثور البلاغي العربي والتراث اليوناني الأرسطي، وذلك بواسطة الفارابي وابن سينا وابن رشد على وجه الخصوص"[23].

وفي حديثه عن ابن البناء بيّن أن هذا العالم قد كتب في البلاغة وكان ملما بالمنطق والرياضيات، ويرى أنه كان "حريصا شديدا فيها على توظيف الآليات المنطقية والرياضية مما يجعله يتساءل عن الغايات التي تكمن وراء هذا التيار"[24]، وإن من بين أهدافه المصرح بها في وضع كتابه في البلاغة لفهم الكتاب والسنة، وفهم المخاطبات والتقريب للصناعة البلاغية ببطها وتنظيمها بأداتين منهاجيتين هما: الاستقراء والاستنتاج، لأنه سلك طريقة الاستنتاج بعدما تبين له أن طريقة الاستقراء عي التي وراء الاختلاف الموجود في الكتب البلاغية السابقة[25].

ومعنى هذا أن ابن البناء قد اعتمد على التراث الرياضي والمنطقي، لأن "الرياضيات والمنطق كانا وراء تنظيم الصور البلاغية الجزئية الشخصية في كليات، والقارئ لكتاب ابن

البناء يرى الرياضيات والمنطق رأي العين، فابن البناء وريث شرعي لتقاليد المدرسة الرياضية والمنطقية العربية الإسلامية: مدرسة الفارابي وابن سينا وابن رشد، فهذه المدرسة وظفت القوانين الرياضية والمنطقية لضبط قوانين الخطابة العربية والشعر العربي، لأن من محتويات المنطق الخطابة والشعر، ولذلك فقد صيغت بعض قوانين الخطابة والشعر مقاييس المنطق ومعاييره، وخصوصا المقولات منه"[26].

وقد برهن على ذلك بأمثلة من كتاب ابن البناء، حينما تحدث عن أنواع الخطابات التي هي على خمسة أنحاء: الأول: البرهان، والثاني: الجدل، والثالث: الخطابة، والرابع: الشعر، والخامس: المغالطة، ويقسم هذه الأنواع إلى صنفين آخرين بحسب جهة العلم والجهل، وإن البرهان والجدل والأقوال الخطابية تستعمل عن طريق الحق ومشروعة بالقرآن الكريم، وإن الشعر والمغالطة "خارجان عن باب العلم داخلان في باب الجهل"[27]، لأن حديثه عنهما تعترضه عقبات دينية وخلقية، فالشعر وردت فيه آيات قرآنية، والمغالطة زور وبهتان، وهنا بدأت الإشكالية التي يريد طرحها من أنه يريد أن يقدم قوانين لصناعة البديع وليس قوانين للعلم، لأن هناك فرق بين الصناعة والعلم من جهة المعرفة ودرجتها، "فالعلم يميز الكليات ويميز الجزئيات ويميز بين جزئيات كلي وجزئيات آخر حتى لا يختلط شيء بشيء ولا يشبه في العلم شيء مما يشبه في الصناعة، ولذلك تتميز الحكمة من الشعر والجد من الهزل وتشترك في الصناعة"[28] البديعية، وهنا نجده يرسخ ابن البناء في ذهن قارئه في أن "صناعة البديع ترجع إلى صناعة القول ودلالته على المعنى المقصود"[29]، وذلك باستخدامه "الأدوات المنطقية والرياضية في اطمئنان من اعتراض المعترض"[30].

وقد اعتمد محمد مفتاح في إثبات التأثير الأرسطي على فكر ابن البناء باعتماده على مصطلح النسبة أو المناسبة أو التناسب، والذي عدّه أهم مكون لجوهر كتابه، لأنه "بني على هذا المصطلح الرياضي المنطقي عدّة قضايا، وقسمه عدة أقسام، ورتب عليه عدة نتائج"[31]، ومعنى النسبة أو المناسبة عند ابن البناء: "هي اشتباه النّسب، والنسبة تكون بين شيئين، فإذا كانت النسبة التي بين شيئين كالنسبة التي بين شيئن آخرين قيل لأربعة الأشياء: متناسبة، قال الله تعالى:﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ۝٥﴾[32] وقال تعالى:﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ

بَيْتًا ﴿٤١﴾[33]، فنسبة الذين حُملوا التوراة إلى حملهم أسفارها ثم لم يحملوا ما حُملوا من القيام بها كنسبة الحمار إلى حمله أسفارا، فنسبتهم في عدم القيام بما فيها كنسبة الحمار في عدم قيامه بما في الأسفار لاستوائهم معه في عدم العقل، ونسبة الكفار إلى اتخاذهم الآلهة كنسبة العنكبوت إلى اتخاذها بيتا"، ثم يوضح أن الأشياء المتناسبة لا تتأثر نسبتها بالإبدال والترتيب والتفصيل والعكس صحيح، بقوله:"والأشياء المتناسبة إذا بدلت تبقى متناسبة فتكون نسبة الأول للثالث كنسبة الثاني للرابع، وكذلك إذا ركبت أو فصلت أو عكست تبقى متناسبة، ولذلك يدخلها الإبدال والحذف"[34].

انطلاقا من هذا المفهوم عدّ محمد مفتاح أن مصطلح التناسب نظرية رياضية ومنطقية، واعتبر أن "أصل مفهوم النسبة لدى أفلاطون وخصوصا أرسطو الذي له فقرة شهيرة في فن الشعر، يقول: وأعني بقولي بحسب التمثيل جميع الأحوال التي فيها تكون نسبة الحد الثاني إلى الحد الأول نسبة الرابع إلى الثالث، لأن الشاعر يستعمل الرابع بدلا من الثاني والثاني بدلا من الرابع... وقد انتقلت هذه النظرية إلى الفلاسفة العرب مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد وإلى آخرين مثل ابن البناء"[35]، وقد وضح منهجه في الاستدلال الرياضي والمنطقي في العديد من المواضع، واستنتج أن "ابن البناء استوعب ما كتبه سابقوه عن النسب والتناسب في الكتب الرياضي، وفي مبحث القضايا الشرطية في المطولات المنطقية، وخصوصا ما كتبه الشيخ الرئيس ابن سينا، وشروح ابن رشد، وإيساغوجي لأثير الدين المفصل بن عمر الأبهري ت630هـ، وما كان رائجا في الوسط الثقافي لدى شيوخ العلماء مثل: الماجري"[36].

وقد بين كذلك تكوينه الرياضي والمنطقي في حديثه عن التقسيمات الظاهرة في موضوعات الكتاب، وفي العلائق بين الجمل، لأنه يرى أن "البلاغة في ذلك إنما هي صحة التقسيم، بحيث لا تتكرر ولا يدخل بعضها في بعض، واستيفاء الأقسام وحسن سياقها"[37]، ويمثل لذلك في العديد من المحطات ويحللها ليكشف عن التوافق في المنهج الفلسفي المتقارب بين أرسطو وابن البناء، وهذا دليل على مدى التأثر الواضح الذي تركه هذا العالم اليوناني في الفكر البلاغي والنقدي لابن البناء المراكشي[38].

ويخلص محمد مفتاح إلى نتيجة مفادها أن ابن البناء قد وظف القوانين المنطقية والرياضية وحكمها في بنية كتابه، وتتجلى في مظاهر عديدة، وهي[39]:

أولها: توظيف الاستقراء والاستنتاج للحصول على جنسين أعليين: هما: أقسام اللفظ من جهة مواجهة المعنى نحو الغرض المقصود، وأقسام اللفظ من جهة دلالته على المعنى، وقد قسم الجنس الأعلى الأول إلى أجناس أربعة متوسطة، هي الخروج من شيء إلى شيء، وتشبيه شيء بشيء، وتبديل شيء بشيء، وتفصيل شيء بشيء، ثم ذكر أصنافا متفاوتة العدد لكل جنس، وقد قسم الجنس الأعلى الثاني إلى أجناس الإيجاز والاختصار والإكثار والتكرير، ثم ذكر أصنافا لكل واحد منها.

ثانيها: توظيف نظرية التناسب الرياضية والمنطقية التي دخلت إلى الثقافة العربية الإسلامية، وهذه النظرية لها جانب رياضي وجانب كلامي وفلسفي، لذلك وظفها علماء الكلام والفلاسفة والرياضيون واللغويون، وقد استثمرها ابن البناء في جنس "تشبيه شيء بشيء"، وجنس "تبديل شيء بشيء".

ثالثها: توظيف التقسيم، فقد أدى به حديثه عن التناسب إلى الحديث عما يلازمه، وهو التقسيم، وهكذا، فإن للتناسب أربع صور أو ثماني صور، وللحذف في التناسب أربعة أضرب، وللمقسم والأقسام أربعة أضرب، وللقياس الاستثنائي أربعة مبادئ.

رابعا: توظيف العلائق المنطقية من حديثه عن السلب البسيط والسلب المركب، والقضايا المتناقضة وعكس القضايا.

5. رامي جميل سالم: بعدما يتكلم الناقد عن الغاية التي ألف بها كتاب الروض المريع، نجده يفصل الحديث في صناعة البديع عن القوانين العامة التي سنها ابن البناء لنفسه في التأليف البلاغي، والقراءة الفلسفية التي استعان بها هذا العالم في كتابه، بخاصة كتاب: فن الشعر والخطابة لأرسطو، ويعتبر أن ابن البناء قد أصاب الهدف في الاستفادة من الثقافة الفلسفية والمنطقية في صناعة مؤلفاته البلاغية، "ومن يطالع كتاب الروض المريع لا يعدم بعض النصوص المصطلحات التي تميل إلى الثقافة اليونانية، وإن

كان ابن البناء لم يحدد مصادره التي استقى منها نظرياته، مما يدفعنا إلى القول: إن ابن البناء تأثر بالثقافة الأرسطية من ناحية التقسيم والتفكير والبرهنة، ومن ناحية المضمون والمحتوى، وأن ملامح الثقافة اليونانية كانت تلاحقه في كثير من أجزاء كتابه، سواء في حشده مجموعة من المصطلحات التي تكشف عن ثقافته المنطقية أو في ذكره لفقرات ونصوص تميل إلى المرجعية الأرسطية وتكشف عن تأثره بها"[40].

ثانيا: أهم القضايا المنطقية والفلسفية التي تأثر بها:

❖ **الصدق والكذب في الشعر وعلاقتها بنظرية المحاكاة والتخييل:**

لقد ناقش ابن البناء المراكشي العددي قضية الصدق والكذب في الشعر وربطهما بنظرية المحاكاة والتخيل، وهذا ما يدل على فهمه العميق لهذين المصطلحين، وإن تمثله لعلاقة الشعر بهما لاعتبار أنهما في الجوهر تطلع من المبدع إلى عالم المثل، لأنه يعدّ "التخييل عمود الشعر، وركنه الذي لا يقوم إلا بوجوده في أنساق نظمية موزونة، ولا ينبني التخييل إلا بوجود أشياء أو موجودات تجمع بينها المحاكاة، فتتمثل في الذهن على شكل تخيل ذهني، وعليه لا يمكن الفصل بين التخييل والمحاكاة لوجود علاقة تلازم في حضورهما أو غيابهما على سطح الخطاب وعمقه الذي لا تضاف إليه صفة الشعري إلا بحضورهما فيه، وتوافرهما من لحظة ميلاد الخطاب إلى أن تكتمل بنيته"[41].

وسنفصل الحديث في هذه القضية انطلاقا من تحديده معنى الشعر، ثم نسجل المصادر القديمة المتصلة بالبحث الفلسفي والمنطق الرياضي أو بالبحث البلاغي والنقدي التي استقى منها المعلومات في تدوينه للمصطلح البلاغي وربطه بالمحاكاة والتخييل، ومن ذلك ما نجده في تحديده لمعنى الشعر الذي يقول أنه:"مبني على المحاكاة والتخيل لا على الحقائق، ولذلك اختص الشعر بأنواع ليست من البديع بحسب الحكمة...ولكن ليس للشاعر أن يحاكي ويتخيل في الشيء ما ليس موجودا أصلا، لأنه إذا فعل ذلك لم يكن محاكيا بل يكون مخترعا، لتركيب الكذب في قوله فتبطل المحاكاة كذبها، وهي موضوع الشعر"[42].

ومن هنا نجد أن هذا المفهوم يتقاطع مع ما جاء به ابن سينا في كتابه الشفاء، وما أبداه حازم القرطاجني في منهاج البلغاء حينما نجده متأثرا بالفلسفة اليونانية، فابن سينا يقول: "إن المحاكاة (لا تصح بما لا يمكن وإن كان غير ظاهر الإحالة ولا مشهورها)، أما الشعر عنده: (هو كلام مخيل) في الأساس قبل أن يكون تأليف أقوال موزونة متساوية مقفاة، ولذلك يقرر أن (لا نظر للمنطقي في شيء من ذلك إلا في كونه كلاما مخيلا)، أما بقية جوانب الشعر من الوزن والتقفية وغيرها فهي مما ينظر فيه مختصون آخرون في جوانب معرفية أخرى"[43].

أما حازم القرطاجني فيتحدث عن الشعر ويربطه بالمحاكاة في قوله:"فأفضل الشعر ما حسنت محاكاته وهيئته وقويت شهرته أو صدقه، أو خفي كذبه وقامت غرابته، وإن كان قد يعد حذقا للشاعر اقتداره على ترويج الكذب وتمويهه على النفس وإعجالها إلى التأثر له قبل، بأعمالها الروية في ما هو عليه، فهذا يرجع إلى الشاعر وشدة تحيله في إيقاع الدلسة للنفس في الكلام...وأردأ الشعر ما كان قبيح المحاكاة والهيئة، واضح الكذب، خليا من الغرابة، وما أجدر ما كان بهذه الصفة ألا يسمى شعرا وإن كان موزونا مقفى، إذ المقصود بالشعر معدوم منه،...وقبح المحاكاة يغطي على كثير من حسن المحاكي أو قبحه، ويشغل عن تخيل ذلك، فتجمد النفس عن التأثر له، ووضوح الكذب يزعها عن التأثر بالجملة...فإن حسنت الهيئة والمحاكاة ولم يكن الكذب شديد الوضوح خادعا النفس عما تستشعره أو تعتقده من الكذب... وإنما يرجع الشاعر إلى القول الكاذب حيث يعوزه الصادق والمشتهر بالنسبة إلى مقصده في الشعر، فقد يريد تقبيح حسن وتحسين قبيح، فلا يجد القول الصادق في هذا ولا المشتهر، فيضطر حينئذ إلى استعمال الأقاويل الكاذبة"[44].

ومن هذه الأقوال الثلاثة نستنتج أن هناك تأثرا واضحا وبيّنا بينهم، وانسجاما تاما بين "نظريات ابن البناء في الروض المريع، وبين نظريات كل من ابن سينا في الشفاء، وحازم القرطاجني في منهاج البلغاء، والتقارب بين كلام ابن البناء وكلام حازم أقوى، والمواضيع التي تناولها كل واحد منهما متشابهة، وكلاهما على الشعر والمحاكاة والتخيل بالذات أكثر تقاربا، ذلك أن اتجاه حازم البلاغي هو الاتجاه الفلسفي المنطقي، وهو نفس الاتجاه الذي انتظم فيه ابن البناء بعده"[45].

ومن هنا يتبين لنا أنه "لا يكمن الاختلاف بينه وبين سواه من البلاغيين في عودة مصطلح المحاكاة جنبا إلى جنب مع مصطلح التخييل، بعد اختفائه عند عبد القاهر الجرجاني والسكاكي واختفائه كذلك عند البلاغيين الذين جاءوا بعد ذلك، ولا لأنه أكثر البلاغيين العرب قاطبة احتفاء بالموضوع، واستفاضة في الحديث عنه من زوايا متعددة، فهذا أمران شكليان، وإنما يكمن الاختلاف في طبيعة رؤيته ومعالجته، فهي معالجة تمنح أساسا من تفكير الفارابي وابن سينا المختلط بتفكير أرسطو في المنطق والفلسفة، وآرائه في الشعر"[46].

يمكننا القول في خاتمة هذا البحث: إنّه قد ارتبط العمل الإبداعي في تدوين البلاغة العربية عند ابن البناء المراكشي في كتابه الروض المريع في صناعة البديع بالأثر الأرسطي القائم على المنطق الرياضي والفلسفي، وقد وجد الانصهار الأمثل بين مكونات المنطق الرياضي والبيان العربي في مصطلح التناسب، كونه يعكس أكثر الأنساق بروزا في كتابه الروض المريع لصناعة البديع باعتباره الميدان الثري الذي تحرك فيه على أرض البيان العربي.

الهوامش والإحالات

[1]- ينظر: محمد عابد الجابري: نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط5، 1986م، ص167.

[2]- ابن عميرة المخزومي: التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات، تحقيق محمد بنشريفة، دار النجاح، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1991م، ص09.

[3]- ينظر: مقدمة كتاب ابن البناء المراكشي العددي: الروض المريع في صناعة البديع، ص48.

[4]- ينظر: مقدمة كتاب ابن البناء المراكشي العددي: الروض المريع في صناعة البديع، تحقيق رضوان بنشقرون، دار النشر المغربية، الدار البيضاء المغرب، دط، 1985م، ص07.

[5]- ابن البناء المراكشي العددي:مقدمة كتاب الروض المريع في صناعة البديع، ص08.

[6]- ابن البناء المراكشي العددي:مقدمة كتاب الروض المريع في صناعة البديع، ص20.

[7]- ينظر: كتاب الشفاء.

[8]- ينظر: مقدمة: الروض المريع في صناعة البديع، ص27.

[9]- في حديثه عن الدلالة، ينظر : المستصفى ، ج1، ص20.

[10]- مقدمة كتاب الروض المريع في صناعة البديع، ص41.

[11]- مقدمة كتاب الروض المريع في صناعة البديع، ص42.

[12]- ينظر النكت في اعجاز القرآن القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق محمد خلف الله وزغلول سلام، دار المعارف القاهر مصر، ط3، ص73

[13]- ينظر: سر الفصاحة، ص340،259.

[14]- ينظر: البرهان في وجوه البيان، ص160 وما يليها.

[15]- ينظر: مقدمة: الروض المريع في صناعة البديع، ص41.

[16]- ابن البناء المراكشي العددي:مقدمة كتاب الروض المريع في صناعة البديع، ص76/75

[17]- ابن البناء المراكشي العددي:مقدمة كتاب الروض المريع في صناعة البديع،ص84/81.

[18]- ابن البناء المراكشي العددي:مقدمة كتاب الروض المريع في صناعة البديع، ص73.

[19]- مقدمة الروض المريع في صناعة البديع، ص22.

[20]- عباس أرحيلة: مسألة التأثير الأرسطي لدى مؤرخي النقد والبلاغة العربيين، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش المغرب، ط1، 1999م، ص124.

[21]- عباس أرحيلة: الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين، منشورات كلية الآداب بالرباط المغرب، دط، 1999م، ص715.

[22]- محمد مفتاح: التلقي والاويل، ص19.

[23]- ابن عميرة المخزومي: التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات، تحقيق محمد بنشريفة، دار النجاح، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1991م، ص09. وينظر: محمد مفتاح: التلقي والتاويل، ص20.

[24]- التلقي والتأويل، ص41.

[25]- ينظر: التلقي والتأويل، ص43/42.

[26]- التلقي والتأويل، ص44.

[27]- الروض المريع في صناعة البديع، ص81 و82.

[28]- الروض المريع في صناعة البديع، ص88.

[29]- الروض المريع في صناعة البديع، ص88.

[30]- التلقي والتأويل، ص45.

[31]- التلقي والتأويل، ص45.

[32]- سورة الجمعة، الآية05.

[33]- سورة العنكبوت، الآية41.

[34]- الروض المريع في صناعة البديع، ص106/105.

[35]- التلقي والتأويل، ص46.

[36]- التلقي والتأويل، ص51.

[37]- الروض المريع، ص129.

[38]- ينظر: الروض المريع في صناعة البديع، ص115، 127، 143، 144. وينظر: التلقي والتأويل، ص51 وما يليها.

[39]- التلقي والتأويل، ص55/54.

[40]- رامي جميل سالم: التأثير اليوناني في النقد والبلاغة العربيين من منظور الدراسات العربية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، ط1، 2014م، ص248/283.

[41]- الطاهر بومزمر: أصول الشعرية العربية نظرية حازم القرطاجني في تأصيل الخطاب الشعري، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2007م، ص59/58.

[42]- ابن البناء المراكشي العددي:مقدمة كتاب الروض المريع في صناعة البديع، ص104/103.

[43]- رضوان بنشقرون : توطئة الكتاب، ص33. وينظر: ابن سينا: فن الشعر من كتاب الشفاء، تحقيق محمد سليم سالم، القاهرة، 1954م، ص72.

[44]- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم محمد الحبيب ابن الخوجة، تونس، 1960، ص72.71.

[45]- ينظر: مقدمة الكتاب، ص34، و مقال: رضوان بنشقرون: نشوء البلاغة وتطورها بالمغرب، مجلة كلية الآداب، فاس المغرب، عدد6، 1983/1982، ص171.153

[46]- شفيع السيد: فن القول بين البلاغة العربية وأرسطو، دار غريب القاهرة مصر، دط، 2006م، ص288.